قضايا أشتات

عبدالرحمن مراد

(1)

< كنت قد تحدثت في موضوع سابق عن حجة كبلد آيل للسقوط ويبدو أن ثمة قوى تحاول أن تزرع ألغاماً محاولة منها للتسريع في انفجار الأوضاع بمحافظة حجة.

ثمة حقيقة يجب أن ندركها قبل الإقدام على أية خطوة لا تضع العواقب نصب عينيها وهي الحقيقة القائلة أن البلدان الأكثر هدوءاً هي الأعنف مواجهة والأكثر انتصاراً لذاتها، ويبدو أن الذين يحاولون تفجير الأوضاع في حجة هم أنفسهم من يحاولون زعزعة الاستقرار بين قبيلتي خولان وسنحان، وهم ذاتهم من يحاول أن يوجهوا الرياح وفق ما تمليه عليهم مصلحتهم اقتداءً بما يحصل في خارج النطاق الجغرافي الوطني ودون قراءة واعية لتفاعلات الواقع اليمني.

ثمة كيان سياسي يسعى ما وسعه الجهد إلى تفجير الاوضاع في حجة ويبدو أن الذين أشاروا على رئيس الجمهورية بتكليف اللجنة العسكرية لحل مشكلة تمكين محافظة حجة إنما أرادوا اشعال فتيل المواجهات، فالقضية في حجة بالغة التعقيد ولا يمكن حلها بالقوة فالقوة لن تكون نهجاً سليماً وصائباً لحل المشكل الظاهر في حجة وقد تكون سبباً مباشراً في تفتيت النسيج الاجتماعي وفي تغيير المعادلة السياسية الوطنية، فالحقائق التاريخية تؤكد مثل ذلك وقد سبق لنا الخوض في تفاصيل مثل تلك الحقائق في مقالات سابقة ولا أظن أن ما يحدث في حجة بعيداً عن الحلول السياسية والاجتماعية بيد أن الإرادة الصادقة والجادة لم تتوفر بعد ولو توفرت لكان الأمر قد حسمته المصلحة الوطنية دون حسابات ضيقة لأي طرف ودون إقصاء أو مصادرة لأحد.

لقد كان بالإمكان تكليف لجنة مدنية لدراسة الوضع في حجة وقراءة الأبعاد واقتراح الحلول للخروج من عنق الزجاجة او التفرغ لقضايا الاستهداف الخارجي الذي بدأ في توظيف كل إمكاناته لتصفية حساباته مع خصومه الافتراضيين في عالم السياسة والذين يتخذون من اليمن ساحة صراع.

زبدة القول أن حجة لا تحتاج الى قوة عسكرية ولا الى اللجنة العسكرية ولكنها بحاجة الى ساعة زمن واحدة لسماع آهاتها وأنينها.. ثم تنفرج كل عقد الأزمة القائمة هناك.. أقول ذلك وأنا أدرك تمام الإدراك ما أقول..؟

(2)

يبدو أن «الاخوان» وأعني الاخوان القدامى كالزنداني ومن شايعه لا همّ لهم إلا أن يصبحوا مرجعية دينية، وهو أمر ظلوا يسعون الى تحقيقه مع الرئيس السابق علي عبدالله صالح وأخذهم وهم التمكين بعد حركة الاحتجاجات الاخيرة ليعلنوه بصراحة مطلقة ودون مواربة وكأن هيئة علماء الزنداني هي كل اليمن وكل العلماء وكل المذاهب ويبدو أن الاخوان في اليمن قد تماهوا مع الحالة المصرية غير مكترثين بحقائق الواقع اليمني ومعطياته الذي يتناقض مع الواقع المصري ولن يكون تكراراً له مثلما لم يكن تكراراً لـه في نتائج حركة الاحتجاجات الشعبية وما لم يستوعبه اخوان اليمن انهم كشفوا أوراقهم في وقت مبكر وعلى إثر ذلك فقد فقدوا كثيراً من التعاطف الشعبي كما أن هيئة الزنداني لم تعد بذات التأثير وبذات الهالة ذات الصبغة الدينية لثبوت اشتغالها بالسياسي على حساب الديني، لذلك فثيوقراطية الزنداني ستظل حلماً لكنه غير قابل للتحقق على الأقل في المدى المنظور.

(3)

وأنا أتأمل التاريخ الثوري منذ النصف الثاني للقرن الماضي ومآلات الجمهوريات العربية وجدت أن اليمن تملك النصيب الأكبر إن لم يكن الاوحد من الرؤساء السابقين وهي بادرة طيبة آمل أن تتحول الى بعد قيمي حقيقي وآمل أن يكون الاشتغال على مثل هذه الابعاد القيمية اشتغالاً ثقافياً حتى نتمكن من الخروج من وعي القائد البطل والاسطورة والمنقذ.

لقد أضاف الزعيم علي عبدالله صالح الرئيس السابق منجزاً تاريخياً الى سجل إنجازاته.. ما يلزمنا في فترة التحولات هذه هو قليل من الحكمة وكثير من الأخلاق في التعامل مع رموزنا التآريخيين لأننا نؤسس لمراحل جديدة نأمل أن تكون أكثر أخلاقاً وتقدماً.

(4)

في الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٦م كتبت نصاً نثرياً نشرته بعض الصحف حينها أتمنى فيه رؤية علي عبدالله صالح مواطناً عادياً دون حراسة ودون هالات وركل ورفس ونخيط الحراسة وحين أصبح الرئيس علي عبدالله صالح مواطناً بعد تسليمه السلطة مطلع العام الحالي ذهبت مرات عدة الى بوابة داره، آملاً في تحقيق أمنية قديمة كتبتها ذات يوم فحالت دون الوصول اليه الحوائل وشعرت حينها أن اشكاليات السنوات الاخيرة التي عادةً ما تصاحب الزعماء التأريخيين قد انزاحت بالضرورة من الرئيس الى المواطن، لذلك فالتجدد أصبح مطلوباً حتى يصبح الزعيم أكثر قرباً من مواطنيه الذين فصلتهم عنه السلطة طوال عقود من الزمن، ولم يتملقوه في سنوات حكمه بل كانوا أكثر صدقاً وموضوعية وأكثر نقداً حباً لا كراهية، ولعل ما حدث في ٢٠١١م قد أومأ الى الكثير من أولئك وتمايز فيه الناس..

(5)

إن شريحة المثقفين والأدباء فئة وطنية ويبدو أن لا قيمة لها والا لما تم إغفالها من منظومة التمثيل والمشاركة في الحوار الوطني، هناك إشكالية في العلاقة بين المثقف والسياسي ولعلها الآن في هذا المخاض الوطني أكثر ظهوراً وأكثر بروزاً.

لا أظن اليمن ستكون بلداً متقدماً وحضارياً ما لم تصنع مبدعيها ومفكريها وتجلّ علماءها وتضع للبعد الثقافي خصوصية معينة وتعيد ترتيب العلاقة بين السياسي والمثقف بما يتوافق والابعاد الحضارية والعصرية.. غياب المثقف الحقيقي هو غياب للموضوعي والوطني في الحوار الوطني.

< بات واضحاً للجميع أن اللاعبين الرئيسيين في هذه الأزمة التي تسمى مجازاً بالثورة، هي قوى ليس لها علاقة بالتغيير ولا الوطنية ولا الدولة المدنية، وبالتالي ليس لها علاقة بالثورة، عندما نعني بالثورة، التقدم الاجتماعي والاقتصادي وبناء الدولة الحديثة والمجتمع المدني الحديث، كثورة تقدمية ضد التخلف والتوجهات الرجعية والعلم ضد الجهل والمستقبل ضد سطوة الماضي والانشداد إليه والكمون فيه..

محمد علي عناش

الشيخ الجاثم على حياتنا (1-2)

هي ثورة عندما نقصد بها الأسس والمبادئ والقيم الثورية القائمة على السلم في مقابل الانقلابات والعنف والحروب والتطرف، والقائمة على التوحد والتناغم الأفقي والعمودي في مقابل التشتت والتيه والهويات المتناحرة والمشاريع الضيقة، والقائمة على المصداقية والوضوح وعلى التنظيم ووحدة المشروع والقيادة الواعية والنزيهة، في مقابل الفوضى والانتهازية وضبابية الأفق وتناقضات الرؤى والمواقف.

ما نقصده- إذاً- هو ثورة التغيير الجذري التي تستهدف تغيير المجتمع وتمس جميع جوانبه وتكويناته بشكل أفضل وإيجابي وتضع لحظة مغايرة وزمناً جديداً، لا التي تشخصن القضايا وتستهدف تغيير أشخاص وبناء أشخاص وصناعة لحظة سيئة وزمن مظلم هكذا ثورة ليس لهم علاقة بها، كما أنه الى الآن لم يتم التعبير عن الثورة بوصفها ثورة التغيير الجذري والجميع يشتركون في هذه المسألة الجوهرية ومع ذلك يكابرون بغباء في حين أنهم عاجزون أن يقوموا بثورة جماهيرية مضادة داخل مدينة تعز ضد بلطجية حمود المخلافي وصادق سرحان، هذا محك حقيقي ومهم جداً، لاختبار وعينا الثوري وقدرتنا الثورية واختبار لمصداقية انتمائنا للمستقبل ومدى إيماننا بالدولة المدنية الحديثة.

القوى التي تنتمي لما قبل الدولة والتي تنتج التطرف والارهاب وتثير الصراعات الاجتماعية والطائفية، هي وراء هذه الاحداث الفوضوية التي تسمى مجازاً بالثورة في صنعاء وتعز وحجة وفي طول البلاد وعرضها هي من تصنع اللحظة وتقود الفعل الثوري بطريقتها الخاصة، وبما يعبر عن مشروعها ويحقق طموحاتها ومصالحها، وبالطبع طموحاتها تتعارض أيضاً مع طموحات الشباب والقوى التقدمية والمؤمنة بالتغيير الجذري، وبحتمية إحداث التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، في اتجاه بناء المجتمع المدني والدولة الحديثة، والاجهاز تنموياً ومعرفياً على مشروع «الشيخ» الجاثم على حياتنا ووعينا منذ مئات السنين، يصيبنا بالتبلد ويزرع فينا وعي الحيلة والفتونة الحمقاء.

هذه القوى التي تطفلت على إرادة التغيير واغتصبتها، تداخلت وتحالفت معها رموز وكيانات تلبس ثوب المدنية وترفع شعارات التحديث هي تدرك أنها رموز وكيانات نفعية وانتهازية، لذا تستخدمها للتضليل والتزوير ليس فقط للحقائق والوقائع بل أيضاً ولتزوير اللحظة والوعي المنطقي بها أي أنها مجرد ديكور جميل لإخفاء أشياء متسخة، وماكياج نراه لفعل بشع ولحظة مشوهة.

من هنا فهذه القوات باسم الثورة والتغيير صارت تدمر بنية الدولة وتثير الفوضى وتمارس وعي السطو والحيلة والسلوك الغرائزي كالتقطعات والاختطافات وتدمير المنشأة العامة، وتستمر في إنتاج الأزمات تلو الأزمات، لأنها في الأساس هي عمق رئيس ومكون أصيل في أزمة اليمن التاريخية وأزمة الوعي وإشكالية التفكير والثقافة الحديثة.

إنه مشروع الشيخ الذي يعاد إنتاجه وتجديده من داخل ساحات التغرير، في واحدة من أغرب مفارقات الربيع العربي.

حالياً بعد أن وصلت الأمور الى ما وصلت اليه من فوضى وفساد وغياب كامل للدولة، يدرك الشباب والكثير من السياسيين والمثقفين والناشطين والكثير من أبناء الشعب اليمني بمختلف شرائحهم، بأن ما اعتقدوا بأنها ثورة، قد تم السطو عليها منذ شهورها الاولى، والانحراف بها عن غاياتها الاخلاقية وأبعادها المستقبلية.

قد تكون هذه صحوة منهم، لكنها صحوة متأخرة تستوجب منهم إعادة تقييم الأحداث وتقييم الواقع، تقييم موضوعي وعقلاني، وإعادة تشكيل وبناء التحالفات من جديد بما يكفل لهذا الوطن المحافظة على أمنه واستقراره ووحدته وإفشال كل المخططات الانقلابية للسيطرة على السلطة.

هناك مسائل لا يجب أن أكون غير واضح حيالها ولا يمكن القبول بها على أنها من منطلق المرونة أو استخدام التقية بل يجب التعامل معها بشكل واضح وجدي وبمنطق عقلاني، لذا كان يفترض منذ البداية التسليم المطلق، بأن الثورة السلمية هي من تحمي نفسها بنفسها ولا تحتاج لأية قوة مسلحة لحماتها، وكان يفترض- أيضاً- الفرز السليم لقوى الثورة والقوى المناهضة للثورة والمتناقضة مع مضمونها السلمي والمدني والتقدمي.

فالذين تم الابتهاج بانضمامهم للساحات، واعتبار ذلك مكسباً للثورة وحماة لها، صاروا اليوم يمارسون التقطعات والاختطافات بصفتهم جيش الثورة وحماتها، ويمارسون الابتزاز والضغط على الحكومة تحت هذه الحجة، ويعبثون بأمن مدينة تعز ويروعون سكانها تحت هذا المبرر، انه مشروع الشيخ الذي تخلق وتحدد في هذه المرحلة لا مشروع الثورة والتغيير كما توهمنا، ولم يكن يجدر بنا أن يخدعنا «بشاره» كي نصدقه عندما وصف ما يحدث في اليمن بأعظم ثورة في التاريخ، لأنه ببساطة لا يفقه شيئاً في علم اجتماع الشعوب، وجاهل بمتناقضات المجتمع اليمني وعمق إشكالياته وعوامل إنتاج القوة الاجتماعية والسياسية فيه.

لا اؤمن بأية حركة أو انتفاضة صغيرة ليس لها قيادة واعية أو أهداف واضحة

كان الأجدر بنا أن نصدق وأن نستوعب ما قاله المفكر الكبير محمد حسنين هيكل عندما وصف ما يحدث في اليمن بأنه ليس الا قبيلة تريد أن تصبح دولة.

هذه هي الحقيقة التي لم نصدقها أو لم نستوعبها، مضافاً اليها أن هذه القبيلة قد تم تلقيحها بفكر ديني متطرف ومتعصب لتصبح القبيلة في الوقت الراهن هي الحاضنة للارهاب والمنتجة له، ومن هذا الوسط تمكن علي محسن خلال هذه الأزمة أن يجند عشرات الآلاف الى قوام الفرقة ومن هذا الوسط تمكن الشيخ الزنداني من تجنيد عشرات الآلاف كمليشيات عقائدية تتبعه شخصياً، وقد أصبحت في أتم الاستعداد والجاهزية أن تمارس دور شرطة الشعب وخاصة حماة الفضيلة والعقيدة والدين وبالطبع ليس هناك من أعداء لهذه الاقاليم من وجهة نظرهم واعتقادهم الا الحوثيون والليبراليون والعلمانيون ودعاة الدولة المدنية، وقد يضم الى هذه القائمة المتصوفة والطائفة الاسماعيلية.. وكما يبدو أنها قد بدأت تمارس مهامها بشكل رسمي تجلى ذلك في لافتات فتاوى التحريم التي امتلأت بها شوارع صنعاء وحاراتها.

مشروع الشيخ (العشيرة والدين) أو القبيلة التي تريد أن تصبح دولة، يتم التكريس له بخطى حثيثة وسعي دؤوب كسلطة سياسية ودينية قادمة، لا مكان فيها لسلطة الشعب وحكم الاغلبية، ولا للدولة المدنية التي يقيمها ويبنيها ويحكمها كل أبناء المجتمع.

من هنا بشر الشيخ الزنداني مؤخراً بدولة الخلافة الاسلامية في اليمن التي حدد موعد قيامها ونشأتها سنة ٢٠٢٥م.

ومن هذا المنطلق لم يكتفِ الزنداني رئيس مجلس شورى الاصلاح بأن حزب الاصلاح هو عضو لجنة التواصل من أجل الحوار الوطني وحاصل على نصيب الاسد في حكومة الوفاق، وأن غالبية مساجد ومعاهد وجامعات البلاد تحت سيطرته، ومع ذلك بدا متبرماً من لجنة التواصل كونها- حسب تصريحاته في المؤتمر الصحفي- همشت العلماء وأقصتهم من مؤتمر الحوار الوطني، مطالباً رئيس الجمهورية بتشكيل لجنة من كبار العلماء لتكون مرجعية للمتحاورين في هذا المؤتمر.

الزنداني يفكر وكأن المجتمع اليمني إيمانه ناقص وتدينه ضعيف، وفاقد لأهلية التفكير والتخطيط واتخاذ القرارات والاحكام السليمة والمناسبة، لذا يصر على تكريس سلطة المرجعية الدينية كي تقوم بالتفكير للمجموع وتخطط لهم وتتخذ القرارات والاحكام لإدارة شؤون حياتهم، وليس هناك تفسير آخر.

بالعودة الى موضوع الثورة صرت لا أؤمن بأية حركة أو انتفاضة صغيرة، ليس لها قيادة واعية ونزيهة وصادقة وليس لها أهداف وبرامج وآليات واضحة وواقعية، كما تفتقد لخبرة التنظيم وعنصر الانسجام والوحدة العضوية، بأنه حتماً سيكون مآل هذه الحركة هو الفشل والنتائج التي تحققها سلبية وعكسية، ناهيك عن الأضرار والمشاكل التي سوف تحدثها في المحيط الذي تنشأ فيه، فما بالك عندما يكون الحدث هو ثورة من المؤكد أن المخاطر والمشاكل والأضرار التي سوف تحدثها كبيرة ومأساوية والنتائج سلبية للغاية.

أعتقد أنني لا أتكلم عن الثورة بمثالية كما قد يتصور البعض وإنما أتكلم عنها بمنطقية لأنني أتكلم عن ثورة، والثورة كما هو متعارف عليه، أن من أول أهدافها ودوافعها هو اقتلاع منظومة فساد كاملة، أو تغييرها وإصلاحها، لكن الذي حصل عندنا أننا صرنا نقتلع نظاماً عاماً بالكامل وندمر بنية دولة بالكامل، لا يمكن أن نعوضها بسهولة أو في مدة بسيطة حتى لو جاءت الثورة بملائكة، فما بالك بباسندوة والعمراني وبقية شلة مشروع الشيخ أو القبيلة التي تريد أن تصبح دولة.

الثورة بهذه الطريقة التي تحدث في اليمن وبهذه الأدوات المستخدمة في الفعل الثوري اندفاع كارثي ومدمر، ذلك يقود البلاد الى استنساخ الظاهرتين أو الفاجعتين «الافغانية والصومالية».

من هنا نحن مع التغيير وضد الثورة كما قال الرائد نبيل الصوفي، وكما عبرنا عنه مبكراً وتناولناه مراراً منذ بداية الأزمة.. وللموضوع بقية.

الآن..؟

احمد قاطن

< ما من شك ولا ريب بين أوساط المجتمع بأكمله متعلماً ومثقفاً وأمياً بأن الأزمة اليمنية كان سببها العلماء، المتحزبون «مع بالغ أسفنا للتعميم ولكن الكل يعرف من هم هؤلاء العلماء..» ،كيف أنهم استغلوا الاعتصامات لتحقيق مآرب حزبية رخيصة على حساب دينهم ووطنهم ومكانتهم التي كانت مرموقة ومقدسة في أوساط المجتمع اليمني.. فرغم اشتداد الأزمة في بدايتها إلا أن المجتمع ورئيس الدولة كانا مطمئنين بأن المخرج سيكون بيد العلماء.. إلا أن علماء الحزب خيبوا آمال الجميع في أول لقاء لهم بالمعتصمين حين قال أحدهم بأنهم يستحقون براءة الاختراع.. فكانت بداية الأزمة وكان هؤلاء العلماء المتحزبون يشعلون نيران الفتنة كلما أطفأها زعيم الأمة ويديرون الأزمة باتجاه إشعال الحروب في كل مكان وتعبئة الشباب تعبئة خاطئة بأن يندفعوا لاقتحام دار الرئاسة والمرافق الحكومية في طريق مسيراتهم وأنه من قتل منهم فالشهادة قد كتبت له وأن منزله في الجنة مضمون وكذلك زوجاته من الحور العين.. فما سبب قتل الشباب فيما يسمى بجمعة الكرامة إلا خطاب ذلك العالم.. وما سبب تردي الأوضاع في البلاد وانتشار الهرج والمرج واستباحة الأعراض ونهب الممتلكات العامة والخاصة إلا ذلك الخطاب المشئوم.

عند اشتداد الأزمة كان الأمل يراود الجميع بأن العلماء سيكون لهم موقف مشرف بأن يوقفوا هذه المهزلة بكلمة حق ينقاد لها الجميع حكاماً ومحكومين.

إلا أن هذا الدور- وللاسف- كان سلبياً بكل ما تعنيه الكلمة من معنى.. فقد كان هؤلاء العلماء يدعمون الأزمة بالفتاوى بما من شأنه إدخال البلاد في حرب اهلية ليس لها آخر.. فما هو الدور الايجابي الذي انتهجتموه حتى تأتون في هذه الأيام التي اصبح هناك وفاق واتفاق وتهيئة للحوار الوطني؟ فنحن نقول لهؤلاء العلماء بأن الأفضل ان يتواروا عن الأنظار حتى يحاول الناس أن يتناسوا تلك المواقف السلبية مع علمي بأن الشعب سيظل يتذكر تلك المواقف المخزية لأجيال متعاقبة ويجب ان يعلموا بأن مكانتهم أصبحت مهزوزة عند عامة الشعب وأصبحت ثقة الشعب بهم مختلة فلا دخل لهم بالحوار الوطني، كما ان الشعب يعتبر هؤلاء العلماء طرفاً من أطراف الأزمة.

ونحن نقول لذلك العالم او ما يسمى نفسه عالم: الآن وقد كانت مفاتيح حل الأزمة بيدك وكانت بصمة دماء المسلمين بيدك والحفاظ على أعراض المسلمين بيدك والحفاظ على المال العام والخاص بيدك أين كانت فتاواك للحفاظ على وحدة الصف وعدم شقه..

هل يراد بهذه الصحوة ان تعاد ثقة الشعب به؟ أم لايزال هاجس الحزبية العمياء طاغياً عليه بحيث يريد ان يخدم حزبه من وراء دخوله في لجنة الحوار.